الفصل الثاني

الانتشار الحالي للأسلحة البيولوجية في بعض الدول الأخرى

للانتشار الحالي للأسلحة البيولوجية في العالم سببان:

أولاً- أن البلدان التي بحوزتها السلاح النووي لم تهمل متابعة برنامجها البيولوجي بل جعلت منه سلاحاً.. (دفاعياً).

ثانياً- أن عدداً متزايداً من البلدان يصعب عليها بلوغ مصاف البلدان النووية وتجد في السلاح البيولوجي بديلاً أقل كلفة ولا يتطلب تقنية معقدة ولا منشآت ضخمة، تمتلك مئة من هذه البلدان الكفاءات العلمية الضرورية لتطوير برنامج بيولوجي ولكن منها ربما عشرة تقدر على تحقيق وتنفيذ ذلك في أفريقيا والشرق الأوسط وكوريا وتايوان والصين وغيرها..

الحالة العراقية

كانت الولايات المتحدة (ترجّح) امتلاك العراق أسلحة بيولوجية قبل وإبّان غزو الكويت في آب ١٩٩٠ (وهي على دراية بالأمر طبعاً)، مما دفع إلى تلقيح جنودها ضد الجمرة الخبيثة على الخصوص.. ولكنّ العراق قرر حينها غير ذلك ولم يستعمل أي سلاح بيولوجي.

أول من كشف للإعلام وجود برنامج لمثل هذه الأسلحة هو المنشق كامل حسين (عام ١٩٩٥ من الأردن) وكان مسؤولاً عن التصنيع العسكري، يبدو أن

obeikandl.com

الأعمال قد بدأت في هذا المجال منذ ١٩٧٤ في مخابر السلمان جنوب بغداد ثم توقفت عام ١٩٧٨ ليحل مكانها اعتباراً من ١٩٨٥ مركز المثنّى، والعودة من جديد إلى السلمان عام ١٩٨٧.*

كانت الأبحاث تدور وقتها حول عامل الجمرة الخبيثة والذيفان البوتيليني. في العام ١٩٨٨ أنشأ العراق في التاجي وحدة لإنتاج الذيفان البوتيليني حيث أُجريت كذلك بعض الأبحاث على العامل المسبّب للغرغرينا والأفلاتوكسين والريسين وفيروس الحمى الصفراء وحمى الكونغو النزفية، أقام العراق فيما بعد (بحسب نفس المصدر) في منطقة الحَكَمْ على بعد خمسين كيلو متراً من بغداد مركزاً لإنتاج وتخزين عوامل ممرضة عديدة وبشكل رئيسي الجمرة الخبيثة والذيفان البوتيليني ويقدر الإنتاج منها بـ ١٥٠٠ لتراً من أبواغ الجمرة الخبيثة حتى آذار ١٩٨٩ و٨٤٢٥ لتراً عام ١٩٩٠ بالإضافة إلى ٦٠٠٠ لتراً من الذيفان البوتيليني و ١٨٥٠ لتراً من الأفلاتوكسين.

بعد غزو الكويت قُدّر ارتفاع إنتاج الذيفان البوتيليني بـ ١٩٠٠٠ لتراً وبـ ٨٥٠٠ لتراً من أبواغ الانتراكس و ٢٢٠٠ لتراً من الافلاتوكسين.

في نهاية عام ١٩٩٠ كان العراق (٢٦) قادراً على تجهيز ١٧٦ قنبلة من طراز R400 و ٢٥ رأس صاروخي.

بعد ما سُمّيَ بحرب الخليج الثانية (أي بعد عودة الكويت بجيوش الولايات المتحدة وحلفائها) أكّد العراق على العلن تدميره لكل منشآته المتعلقة بالنشاطات الحربية البيولوجية وقد تعرض ما بين عامي ١٩٩١ و ١٩٩٥ إلى /٢٢/ حملة تفتيش من الأمم المتحدة تلتها ٢٣ حملة إضافية بعد ما أفشى به كامل حسين من الأردن.

ثم توالت الضغوط على العراق نتيجة عدم العثور على ما يثبت امتلاك العراق لمثل هذه الأسلحة وأغلب الظن أنها دُمّرت بالفعل أو أن أغلبية القرائن التي سمحت

---

* لقد قامت شركات أمريكية وغربية أوروبية وغيرها بتزويد العراق معدات وتقنيات خاصة بتصنيع أسلحة بيولوجية في فترة ما بين عامي ١٩٨٤ و ١٩٩٠.

obeikandl.com

باستنتاج وجود برنامج بيولوجي بهذا الحجم إنما مصدرها إما نقل معدات أو مشتريات أو مواد استهلاكية تستعمل في المجال الجرثومي الحربي وغيره أيضاً وساهم في تغذية الشكوك بشأنها عدم الوضوح والدقة في التصريحات العراقية، وربما يفصح المستقبل العاجل بما يُفقد بعض الدول مصداقيتها في هذه الحالة وقد حدث هذا بالفعل. ففي الرسالة عن حالة الاتحاد التي ألقاها الرئيس بوش أمام الكونغرس في كانون ثاني ٢٠٠٣ كرر التهم للعراق بامتلاك أسلحة دمار شامل وزاد عليها تحديداً وكأنه يقرأ فاتورة:

العراق يملك ٢٥٠٠٠ لتراً من الانتراكس و ٣٨٠٠٠ لتراً من ذيفان البوتيلينوم السام بالإضافة إلى ٥٠٠ طن من الأسلحة الكيماوية و ٣٠٠٠٠ قنبلة ورأس حربي ممنوع.. ثم جاء في أواخر ٢٠٠٥ ليتراجع ويُعلن التعرض لتضليل استخباراتي!

في إيران

حاول المسؤولون الحصول على الخبرة والمواد ذات العلاقة بالأسلحة البيولوجية من المعاهد التي طورت مثل هذه الأسلحة في الاتحاد السوفييتي، ولكن الفكرة تعود إلى عام ١٩٣٣ (٢٦) حيث حاولت إيران (بصورة غير رسمية) الحصول على مواد تساعد على إنتاج بعض الذيفانات كالميكوتوكسين، ومن المحتمل جداً أن إيران قد توصلت منذ ١٩٩٠ إلى إنتاج عوامل ممرضة يمكن تحميلها في رؤوس صاروخية.

في مصر

اعترفت مصر عام ١٩٧٢ بحيازتها لمثل هذه الأسلحة البيولوجية للدفاع.

في الهند

فعلت الأمر نفسه واعترفت بحيازتها للأسلحة البيولوجية الدفاعية ولو أن تجربتها العلمية تسمح لها بالانتقال إلى مرحلة السلاح البيولوجي الهجومي.

في ليبيا

فهي بحسب تقرير أمريكي لعام ١٩٩٦ تمتلك برنامجاً للسلاح البيولوجي ولكنها ربما لا تمتلك بعد الكفاءة العملاتية الضرورية ولا يوجد بحوزتها أسلحة

obeikandi.com

بيولوجية جاهزة للاستعمال.

بتاريخ ٢٠٠٣/١٢/١٩ قررت ليبيا بإرادتها "الحرة" (بعد تفاهمات سرية مع الولايات المتحدة وبريطانيا) التخلص من برامجها التي قد تؤدي إلى إنتاج أسلحة محظورة دولياً ولم تقر أبداً بامتلاك أسلحة بيولوجية.

في كوريا الشمالية

يُعتقد بأن كوريا الشمالية قد باشرت أبحاثاً في مجال السلاح البيولوجي منذ عام ١٩٦٠ وأنها تمتلك منشآت علمية تستطيع إنتاج عوامل ممرضة وذيفانات ولو بشكل محدود.

في الباكستان

يوجد على الأرجح برنامج بيولوجي ولكن لا توجد لدينا معلومات بهذا الشأن.

في الصين

تمتلك الصين- بحسب الولايات المتحدة- برنامجاً بيولوجياً "هجومياً" ولها من الكفاءة العلمية ما يسمح لها بإنتاج وتجهيز وتخزين رؤوس صواريخ بعيدة المدى.

في تايوان

اشترت تايوان- بحسب وكالة مراقبة نزع التسلح- عام ١٩٩٨ من الولايات المتحدة ومن سويسرا معدات ومواد في التقانة البيولوجية ذات الاستعمال المزدوج أي قابلة للاستعمال في المجال العسكري.

في سوريا

انضمت سوريا في العام ١٩٦٩ إلى معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية، وفي العام ١٩٨٤ انضمت إلى اتفاقية الضمانات الدولية التي صادقت عليها لاحقاً مما سمح لوفود الوكالة الدولية للطاقة الذرية بالقيام بجولات تفتيش مفاجئة على المواقع السورية كما أن الاتفاقات تسمح لسورية بالحصول على مفاعلات نووية صغيرة للاستخدامات العلمية والطبية والزراعية.

obeikandl.com

ومن جهة أخرى تربط سورية التوقيع على اتفاق حظر الأسلحة الكيماوية بتوقيع إسرائيل على اتفاق حظر انتشار الأسلحة النووية.

شككت الولايات المتحدة في العقد الفائت في أمر سورية وصرحت بإمكانية العمل على برنامج بيولوجي فيها بين عامي ١٩٩٣-١٩٩٦، غير أن السلطات الرسمية نفت ذلك بشدة واعتبرته من قبيل الابتزاز الدعائي لتحويل الأنظار عن حليفها العضوي في المنطقة: (إسرائيل).

الحالة الإسرائيلية

من واقع ملفات الصليب الأحمر في جنيف وقد رُفعت عن بعضها السريّة مؤخراً

بالرغم من عدم وجود برنامج بيولوجي عسكري معلن فإن القرائن التالية تثبت تماماً قدرة إسرائيل العلمية التي تؤهلها للانغماس في المجال وتحقيق السبق فيه في المنطقة والعالم بدعم مادي وعسكري من الولايات المتحدة، وهذا ما يفسر إلى حد كبير رفضها المستمر التوقيع على معاهدة حظر انتشار أسلحة الدمار الشامل.

لقد قامت إسرائيل في السنوات الأخيرة بتطوير ترسانتها من الأسلحة الكيميائية والبيولوجية وهو ما سُمي بالسلاح المزدوج وقد زوّدت الولايات المتحدة إسرائيل بهذا السلاح وساعدتها على تطوير جراثيم لها درجة بقاء عالية في الظروف الجوية غير المواتية، وإنتاج جراثيم مقاومة للأمصال واللقاحات تؤدي إلى أعراض فيزيولوجية تشابه الأمراض الأخرى لإرباك الخصم في التشخيص.

١- بعد سقوط حيفا في ١٩٤٨/٤/٢ تدفق آلاف النازحين من حيفا إلى عكا في فلسطين وكانت لا تزال تحت الحماية البريطانية.. وفي الأسبوع الأول من شهر أيار لعام ١٩٤٨ بدأ الإرهابيون الصهاينة بمحاصرة المدينة، وكانت مياه الشرب تصل إلى المدينة من قناة تأتي من القرى الشمالية، في نقطة من القناة حقن الصهاينة المياه بجرثومة التيفوئيد وسرعان ما انتشرت حمى التيفوئيد بين الأهالي والجنود البريطانيين.

يقول تقرير الصليب الأحمر تحت الرقم 1/GC/G3/82/G59: (في يوم ١٩٤٨/٥/٦ توجه مندوب الصليب الأحمر دوميرون من حيفا إلى عكا بصحبة

الدكتور ماكلين طبيب الصحة لتفقد أحوال اللاجئين بعد تفشي التيفوئيد بينهم وشمل رجال الجيش والشرطة وإن هناك خوفاً من أن ينتشر الوباء عن طريق اللاجئين المتجهين إلى لبنان، وفي إحصاء أولي فإن عدد المصابين ٧٠ مدنياً و ٥٥ بريطانياً وخلص التقرير إلى أن الوباء محمول بالمياه وأن القناة هي المصدر، لمنع الأهالي من العودة إلى ديارهم).

٢- في ١٩٤٨/٥/٢ قبضت القوات المصرية على اثنين من اليهود متلبّسين بمحاولة تلويث مياه غزة وهما دافيد هورين ودافيد مزراحي، وبالتحقيق معهما اتضح أنهما مكلفان بتلويث مصادر المياه التي يستقي منها الجيش المصري والأهالي بجرثوم التيفوئيد (سالمونيلا تيفوزا) والديزانتريا (ببكتريا الشيغلاّ).

وقد اعترفا بأنهما جزء من فريق مكون من عشرين شخصاً أُرسلوا من رحوبوت للقيام بالمهمة، وقد أُعدم الشخصان بعد ثلاثة شهور من القبض عليهما.

٣- نشر الصحافي الأمريكي توماس هاملتون الحائز على جوائز عدة على تحقيقاته في نيويورك تايمز، في ١٩٤٨/٧/٢٤ أن الهيئة العربية العليا قدمت إلى هيئة الأمم المتحدة بتاريخ ١٩٤٨/٧/٢٢ تقريراً يتهم اليهود بالتخطيط والتنفيذ وإقامة المختبرات لحرب الإبادة ضد العرب باستعمال جراثيم الكوليرا ضد مصر في خريف ١٩٤٧ وفي سوريا في شباط ١٩٤٨.

وكانت التايمز اللندنية قد نشرت بتاريخ ١٩٤٧/٩/٢٦ نبأ نشر الصهاينة لوباء الكوليرا في مصر حتى بلغ عدد الوفيات ١٠٢٦٢ كما وصل الوباء إلى سوريا في ١٩٤٧/١٢/٢١ ولكن على نطاق أضيق إذ ضربت السلطات السورية حصاراً على القرى الحدودية الموبوءة ولم يتوفى سوى ١٨ من أصل ٤٤ إصابة.

وكتب البروفسور كاروس بحثاً نُشر في جامعة الدفاع الوطنية في واشنطن عام ٢٠٠١ تحت عنوان (الإرهابيون الصهاينة) ذكر فيه أن شرطة دمشق قبضت آنذاك على عدد من الصهاينة الذين نشروا الوباء في سوريا لإحباط خطة الإعداد لجيش الإنقاذ ومنع دخوله فلسطين.

٤- كما كتب الدكتور آفنر كوهين وهو باحث رئيسي في مركز الدراسات الدولية والأمن في جامعة ميريلاند بحثاً بعنوان:

(إسرائيل والقنبلة) ونُشر في مجلة الحدّ من الأسلحة عدد الخريف ٢٠٠١ يقول: إن بن غوريون جمع العلماء اليهود الألمان وكانوا يعملون قبلها مع النازيين بالطبع، من أجل إنشاء وحدة في إسرائيل للحرب الجرثومية وكان هدفه واضحاً إذ كتب لأحد عملاء الوكالة اليهودية في أوروبا يأمره بالبحث عن علماء يهود لكي (يزيدوا قدرتنا على القتل الجماعي).

من هؤلاء العلماء اليهود: افراهام ماركوس كلينبرغ المتخصص في الأوبئة في الجيش الروسي والثاني هو الألماني ارنست دافيد بيرغمان والثالث والرابع هما الأخوان آهارون وافرايم كاتاشالاسكي.

وحصل خلاف بين حاييم وايزمان (أول رئيس للكيان الصهيوني في فلسطين) والإرهابي بن غوريون وكان الأول يرغب بشدة في إنشاء مؤسسة علمية مجردة وتم له ذلك في رحوبوت تحت مسمى معهد وايزمان، بينما كان الثاني يخطط لإنشاء وحدة علمية للسلاح الجرثومي تحت لواء إرهابيي الهاغانا، سماها منظمة (همد بيت) التي ترأسها الدكتور الكسندر كينان المتخصص في الجراثيم واختار لها مقراً في أبو كبير في يافا وأحيطت بالسرية التامة.

تغيّر اسم هذه المنظمة فيما بعد إلى معهد إسرائيل للبحوث البيولوجية (IIBR) ولا يزال في المكان إلى اليوم ويرأسه الدكتور آفيغدور شافرمان وقد توسع المركز مؤخراً وموقعه ليس سراً وإحداثياته معروفة ويقع إلى الغرب منه مباشرة وعلى ساحل البحر الأبيض المتوسط مركز لإطلاق الصواريخ في قاعدة بالماحيم.

يعمل في المركز المذكور ثلاثمائة موظف منهم مئة وعشرون من حاملي الدكتوراه في البيولوجيا والكيمياء والرياضيات والبيئة والفيزياء يعاونهم مئة فني مؤهل تأهيلاً عالياً، وعلى الرغم من الإنكار والمراوغة تعمد إسرائيل إلى لعب البهلوان على حبل التكتم والإعلان وتحرص على تسريب المعلومات المخيفة من وقت لآخر قصد ردع العرب عن محاولة استعمال سلاح مماثل.

obeikandi.com

٥- في تشرين الأول من عام ١٩٩٢ سقطت طائرة شحن بوينغ تابعة لشركة العال على ضاحية امستردام في هولندا تسببت في وفاة ٤٧ شخصاً على الأرض فوراً ومئات من الإصابات بأمراض غامضة تثير مشاكل تنفسية وبثور جلدية واضطرابات عصبية.

اتضح أن الطائرة كانت مرسلة من شركة سولكاترونيك في بنسلفانيا في الولايات المتحدة إلى مركز البحوث البيولوجية في إسرائيل وكانت محملة بخمسين غالوناً من مادة السارين أو غاز الأعصاب، كما قيل لنا.. وغيرها بقي مجهولاً، تكتمت حكومة هولندا على الأمر بالاتفاق مع الإسرائيليين مضحية بذلك بسلامة مواطنيها.. وسمعتها، وهو ما سجّله التاريخ عليها.

ولكن أحد المحررين العلميين الهولنديين الشرفاء واسمه كاريل كنيب قرر التحقيق في الأمر ونشر في ١٩٩٩/١١/٢٧ تقريراً مفصلاً عن حرب إسرائيل البيولوجية مستعيناً في بحثه بالأنترنيت وأساتذة مختصين في الأسلحة الكيميائية والجرثومية من جامعات ستوكهولم وساسكس وبرادفورد، وغيرها.

رصد كنيب في تحقيقه أكثر من ١٤٠ اسم عالم يعملون بالتبادل في إسرائيل بين المركز والجامعة ويتنقلّون باستمرار داخل إسرائيل وخارجها إلى الولايات المتحدة بشكل خاص مثل معهد والتر ريد العسكري وجامعة القوات المسلحة وجامعة أوتاه ومركز البحوث البيولوجية والكيميائية في إيدج وود ووجد أن التعاون العلمي وثيق أيضاً مع هولندا وألمانيا وبريطانيا وكندا واستخلص قائمة بالموضوعات التي يطورها المركز في إسرائيل مثل الأمراض السارية والمواد السامة التي تُفقد القدرة والإرادة مثل الشلل والتشنج والهلوسة وعدم المقدرة على التفكير وهو ما تجربه جهاراً على المدنيين الفلسطينيين، وقد طلبت السلطة الفلسطينية مراراً استقدام بعثة دولية لتقصّي ماهيّة المادة المسببة دون جدوى!

٦- كان اهتمام إسرائيل في الخمسينات ينحصر في تطوير عوامل نقل عدوى التيفوئيد والطاعون وشمل البحث عن الجدري وبعض الطفيليات، ثم توسع الاهتمام بدءاً من الستينات ليشمل المواد السامة.

obeikandl.com

في ١٩٩٧/٩/٢٥ فشلت إسرائيل في اغتيال خالد مشعل رئيس المكتب السياسي لحماس في عمّان باستعمال سمّ معروف باسم SEB وأُضطرت إلى تسليم الأردن الترياق المضاد ضمن صفقة لا يتسّع المجال لذكرها.

ومن الجدير بالذكر أنه للتعمية على بحوث مركزها تشجع إسرائيل علماءها على نشر أبحاث علمية بريئة وعادية لتحافظ على المكانة العلمية للمركز وللحصول على التعاون مع مراكز مشابهة في العالم والدعوة إلى مؤتمرات وغيره.

يتولى كل عالم في المركز منصباً في جامعة تقوم بأبحاث مساندة خصوصاً في كليات الطب قسم الجراثيم، وقد أصدرت جامعة تل أبيب أبحاثاً كثيرة عن جرثوم الانتراكس المسبب لداء الجمرة الخبيثة.

إن إسرائيل لم توقع أو تصادق على ميثاق الأسلحة البيولوجية عام ١٩٧٢، وبحسب التقديرات الغربية نفسها، تمتلك إسرائيل أكبر مخزون من الأسلحة البيولوجية يفوق ما في أوروبا وآسيا مما يشكل خطراً داهماً على المنطقة والعالم جدول (١) (٢) وإذا ما أضفنا إلى ذلك أسلحتها النووية فإن العجب الأغرب هو أن يُترك أمرها هذا ويطارد كل عالم عربي حتى في بيته!

وستبقى إسرائيل خارج طائلة القانون الدولي إلى أن تحمي الحكومات العربية شعوبها بإجراءات مضادة تطور على أساسها سياساتها بحيث تتيقن إسرائيل أنها لو استعملت هذه الأسلحة ستكون هي أولى المتضررين بها وأسهلها استهدافاً.*

أضعف الإيمان أن تسعى الحكومات العربية سعياً جدّياً وحثيثاً مخلصاً في كل المنابر الدولية إلى جعل المنطقة خالية من أسلحة الدمار الشامل من دون استثناء إسرائيل.. طبعاً.

---

* جريدة الحياة- العدد ١٤٥٥٩ شباط/ العدد ١٤٨٦٣ ك١ ٢٠٠٣ "إسرائيل هي أول من استعمل الحرب الجرثومية في المنطقة وهي أكبر خازن لها" للباحث الفلسطيني سلمان أبو ستة، مع فائق تقديرنا.

obeikandi.com

obeikandl.com